Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العاقل – كإنسان؟ والخلق الأدبي لا يُصوَّر وكأنه يدور في حلقة باطنية منطوية على ذاتها بل ينبثق من ذات عاقلة، شاعرة ليتوجه إلى الآخرين بما تفيض به هذه الذات ويعمم عليهم هذا الفيض الفكري – الشعوري – ويجعلهم شركاء به. من هنا أن صفة «الاجتماعية» ملازمة حتماً للأدب كما أنها تلازم الإنسان انطلاقاً من طبيعته.

إن شيوع القول بأن «الأديب هو ابن بيئته»، يتأثر بها كما يؤثر فيها ليس فقط بين الباحثين الأدبيين وطلاب الأدب بل حتى بين العامة، يدل إلى أي مدى يتصف هذا القول بميزة الشمول بحيث يبلغ إلى مرتبة الحقيقة البديهية التي لا جدال في صحتها. فلا عجب والحالة هذه أن نرى بعض الباحثين يولون هذه الظاهرة الإنسانية في صميمها اهتماماً يتعدى نطاق الكلام العابر ليصل إلى ميدان الكلام العلمي المسؤول ويجعل من الأدب في ركائزه الثلاث – الأديب، النتاج الأدبي، القارىء – موضوعاً لفرع من علم الاجتماع متميز نوعياً عن غيره، هو «علم اجتماع الأدب، أو سوسيولوجيا الأدب».

وما يزال هذا العلم في عهد الطفولة، يتلمس طريقاً واضحاً في الشعاب المتعددة التي تفترضها الركائز الثلاث التي أشرنا إليها. ويشير اسكاربيت إلى هذه الشعاب عندما يقول: «إن وجود أفراد مبدعين يطرح مشاكل في التأويل النفساني والأخلاقي والفلسفي كما تطرح الآثار نفسها مشاكل جمالية وأسلوبية ولغوية وتقنية. أما وجود الجماعة – الجمهور فيطرح مشاكل ذات طابع تاريخي وسياسي واجتماعي بل واقتصادي أيضاً. هناك؛ على الأقل، ثلاثة آلاف طريقة لارتياد الحدث الأدبي ودراسته».

ولا شك في أن أي باحث موضوعي، يلتقي وإسكاربيت على القول بأن: «التاريخ الأدبي اعتمد لعدة قرون وما يزال يعتمد غالباً دراسة الإنسان والآثار فقط – السيرة الذهنية وتفسير المتون – ومعتبراً البيئة الجماعية نوعاً من الزخرف والزينة متروكاً لفضول مؤرخي السياسة».

ولا عجب أن غابت هذه الدراسة السوسيولوجية عن كتب الأدب الدراسية، لأن هذه إنما تولي اهتمامها الأدب كظاهرة فنية كما تعنى بوضع الآثار في نطاقها البيئي وتفسيرها على ضوء المعطيات الشخصية للأديب ومعطيات البيئة في العصر الذي عاش